

## صورة الآخر عند الشعراء السود في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي

أ.د. عهود حسين جبر

مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

الباحثة بلسم باسم شنان

كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

### المقدمة:

كثرت الدراسات في العصر الحديث عن صورة الآخر في مختلف أنواع البحوث منها النفسية و الاجتماعية وحتى السياسية والتي يتخصص أغلبها بدراسة اختلاف القوميات والطوائف في المجتمع الواحد أو بين المجتمعات المختلفة، حتى اقتصت بعض الدراسات الأدبية في اللغة العربية بالآخر، وأغلبها في كتب النقد الأدبي والتحليل النفسي لنتاج الأدباء ونظرة الآخر لهم أو لنظرتهم للآخر.

ونلاحظ في هذا الخصوص أهمية الآخر في حياة الشاعر الأسود وتأثيره بتغيير مسار حياته سلبي أو إيجابا، وكل ذلك يرجع الى البيئة التي عاش فيها الشاعر وكيفية نشأته. وسيركز البحث بالتفصيل على المقربين من الشاعر والذين من المؤكد قد كان لهم الدور الإيجابي في حياته وشعره أيضا، ونبدأ بالمرأة وتأثيرها في حياة الشاعر، ومن ثم بالرجل الصديق، ومن بعدها يكون البحث في الآخر المجموعة أي الآخرين، وتتمثل في القبيلة وموقف الشاعر من قبيلته وموقف قبيلته منه على حد سواء.

في علاقة الأنا العربية مع الآخرين يظهر مدى الوعي العربي بالآخرين وأهميتهم بالنسبة للحياة العربية، والتي كان اعتمادهم الرئيسي في جمع الأموال عن طريق التجارة بأنواعها (وتشمل بذلك تجارة الرقيق) والوافدين على مكة للحج من مختلف القبائل والبلدان، وأيضا كون مكة والبلاد العربية الأخرى كاليمن وبلاد الشام معبراً يصل بين بلاد الروم وبلاد الفرس وبلاد الهند ، وبذلك عمدوا الى ازدهار تجارتهم وإنماء أموالهم من خلال توطيد العلاقة مع الآخرين بمختلف أطرافهم وأشكالهم "وتظهر هوية العربي من وجود الآخر وحضوره والوعي به لأن إدراك حضور الآخر يؤدي الى شعور الذات بالاختلاف والتميز كما أن الوعي بالذات والهوية يتنامى ويزداد عندما تعقد الذات المقارنات مع الآخر في نواحي التضاد

والاختلاف أو التوافق أو التشابه وعندما تعاین الذات والآخر وتظهر الفوارق الخلقية والخلقية والايديولوجية تبدأ الهوية بالتشكل ويبرز الوعي بوجود هوية الآخر أيضا<sup>(١)</sup>.

#### مدخل: مفهوم الآخر:

مع اتساع الدراسة في هذا المنحى تكررت فكرة أن مصطلح الآخر هو نتاج الأدب الغربي وأن الغرب هم أول من درس الآخر وقارنه بالأنا ومن ثم سار عليه العرب ووظفوه في خدمة دراساتهم، متناسين أن القرآن الكريم طرح فكرة الآخر كثيراً في آياته الكريمة ، وكلام الله المنزل على نبيه الكريم بالنسبة لنا يعد تاريخ العرب وصورة حية في وقتنا الحاضر من موروثنا القديم .

ففي قوله تعالى : {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: {ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين<sup>(٣)</sup>، احتوت هاتان الآيتان على مفهوم الآخر بالمعنى وليس باللفظ وهو أبلغ وأعم فالذكر غير الأنثى وهو آخر في عالمه وأفكاره وحتى مسؤولياته، واختلاف الألسنة وتعدد واختلاف لغات العالم والتي تنتمي الى مجتمعات ودول متعددة، وكلمة ألوانكم وهي أساس بحثنا، فاللون يعني اختلاف العرق والنسب والذي يؤدي الى اختلاف مكانة الشخص في المجتمعات العنصرية والتي كان أولها المجتمع العربي في الجاهلية. وقوله تعالى: {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين<sup>(٤)</sup>. وقوله تعالى: {هذا فليذوقوه حميم وغساق وأخر من شكله أزواج<sup>(٥)</sup> وقوله (آخر) أي بمعنى طريقة عذاب -أعاذنا الله- غير الحميم والغساق. وقوله عز وجل: {فعدّة من أيام أخر<sup>(٦)</sup>، أي تعويض الصيام في أيام غير أيام الصيام الواجبة، وما نستشفه من هذه الآيات أن كلمة (آخر) جاءت بالقرآن بمعنى (غير) أو مختلف.

- مفهوم الآخر لغة:

عند البحث في المعجمات اللغوية عن كلمة (الآخر) نجدها بمعنى (غير)، فعند الفراهيدي "أخر، تقول: هذا آخر، وهذه أخرى والآخر والآخرة نقيض المتقدم والمنقمة ومقدم الشيء ومؤخره"<sup>(٧)</sup>. وعند ابن منظور "الآخر بمعنى (غير) كقولك رجل آخر وثوب آخر قال تعالى: {فأخراهم يقومان مقامهما}، قال

الفراء معناه أو آخران من غير دينكم<sup>(٨)</sup> وعند الزبيدي "الآخر بمعنى غير وأصله أفعل من آخر، اي تأخر فمعناه اشد تاخراً ، ثم صار بمعنى المغاير"<sup>(٩)</sup>  
وفي الصحاح الآخر بفتح الخاء أحد الشئيين وهو اسم على أفعل والأنثى أخرى، إلا أن فيه معنى الصفة لان أفعل من كذا لا يكون الا في الصفة . وعند احمد بن فارس في مقاييس اللغة "أن الآخر أحد الشئيين وهم اسم على افعل والانثى اخرى"<sup>(١٠)</sup>، وفي المعجم الوسيط<sup>(١١)</sup>: الآخر أحد الشئيين ويكونان من جنس واحد، كقول المتنبي :

ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

وبمعنى غير ، قال امرؤ القيس :

إذا قلت هذا صاحب قد رضيته وقرت به العينان بدلت آخر<sup>(١٢)</sup>

وبذلك تعرف كلمة (الآخر) في معاجم وقواميس اللغة العربية بمعنى (غير) بإجماع كل العلماء . فهي في حروفها الثلاثة المحركة بالألف الممدودة أولاً والحاء المفتوحة تعني غير ولا تعني غير هذا المعنى . أما ما تعنيه حروف هذه الكلمة باختلاف الحركات مثل كلمة (آخر) اي الأخير فهذا لا يخص بحثنا في شيء.

- مفهوم الآخر اصطلاحاً:

والآخر في المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية يعني: "اسم خاص للمغاير، يقال للأشخاص والأشياء والأعداد، ويطلق على المغاير في الماهية، ويقابله الأنا"<sup>(١٣)</sup>. ومعنى الآخر الغير: معنى المصطلح هو "أننا إذا وضعنا شخصاً ما أو مجموعة أو مؤسسة في موقع الآخر أو الغير فإننا نضعه أو نضعها خارج سياق انتمائنا، وهو مصطلح مستقى من نظريات فرويد ويشيع في النقد الفرويدي"<sup>(١٤)</sup>. وهو بهذه المعاني

لا يختلف كثيراً عن المعنى اللغوي لكلمة الآخر فكلاهما بمعنى (غير). وإذا أردنا البحث عن أصل هذا المفهوم عند الغرب نجد جذوره ممتدة الى العلماء اليونانيين و منهم أرسطو في قوله: "إنما الطبيعة وهي ترمي الى البقاء هي التي قد خلقت بعض الكائنات للإمرة وبعضها للطاعة، إنما هي التي أرادت أن الكائن الموصوف بالعقل والتبصر يأمر بوصفه سيداً ، كما أن الطبيعة هي أيضا التي أرادت أن الكائن

الكُفء بخصائصه الجثمانية لتنفيذ الأوامر يطبع بوصفه عبداً وبهذا تمتزج منفعة السيد ومنفعة العبد<sup>(١٥)</sup>. فهو بذلك يعد من المنشئين لمبدأ العنصرية والاختلاف والتمايز واحتقار فئة من البشر واحترام الفئة التي تنتمي الى شعب اليونان " أرسطو- الذي تأثر بأحد المفاهيم السائدة- ألا وهو أن الآلهة قد خلقت اليونانيين من مادة نورانية خاصة، بينما خلقت غيرهم من مواد خسيصة"<sup>(١٦)</sup>.

من هنا تبرز أهمية الآخر الذي يكون مع الأنا مركب تفاعلي يؤثر بكل مجالات الحياة فلولا الآخر لما عرف الشخص قيمة ذاته، ولما أحس بالنقص أو الرضا ، أو ميله للتغيير والتطور ، ودليل ذلك ما يشهده العالم من تنافس الدول العظمى أيها أكثر تطوراً ومعرفة .

إن كل شخص أيا كان هو آخر، باختلاف جنسه أو ثقافته أو لونه أو دينه، فهو يمثل مصطلح (الآخر) بكل نواحيه ومجالاته ،وهو بذلك يؤثر فعلياً بما يحتله من مكانة إيجابية أو سلبية في المجتمع فيكون الصديق أو العدو أو الحبيب أو الغريب "وهذا الآخر عبارة عن مقوم جوهري من مقومات الذات من حيث أنها لا تكون كذلك إلا من خلال الآخر ولا تتعرف على ذاتها إلا عبر الآخر"<sup>(١٧)</sup>.

وليس بالضرورة أن يكون الآخر فرداً والذات فرداً، قد يكون الآخر جماعة والذات فرداً، أو أن الذات جماعة والآخر فرداً، أو أن يكون الآخر جماعة والذات جماعة أيضاً توحيدها فكرة معينة أو مبدأ معين ، كفكرة الآخريّة والغيرية السائدة الآن حول الذات العرب والآخر الغرب، او بالعكس عند الغرب فالمجتمع العربي بالنسبة للغرب اخر غامض مختلف كلياً.

#### المبحث الأول: صورة الآخر الإيجابية عند الشعراء السود في العصر الجاهلي:

لعبت المرأة دوراً كبيراً في شعر الشعراء السود وكان لها تأثير قوي ليس على صعيد الشعر فحسب ، وإنما على حياتهم كلها . وكانت المرأة المسؤول الأول عن تعاسة هذه الفئة من الشعراء فما كان سوادهم إلا من أمهاتهم وما كانت تعاستهم إلا من نبد نساء قومهم لهم ،وما كانت نهاية بعضهم وقتلهم إلا بسبب حبهم للنساء والتشبيب بهن . وبالنسبة لعنترة بن شداد فإن دور المرأة في حياته كان له التأثير الأكبر على كل المراحل التي عاشها سواء أكانت أمه او عيلة محبوبته أو زوجة أبيه. وفي البحث عن صورة الآخر الإيجابية في حياة الشعراء السود لابد لنا من البدء من دور الآخر المرأة في حالتها الإيجابية للشاعر

الأسود ولدى شاعرنا عنتره العبسي فإن الدور الإيجابي للآخر المرأة ضئيل جداً مقارنة بما جرى عليه من تعاسة في حياته بسبب المرأة.

١- الآخر الأم:

قبل الكلام عن الآخر الأم في حياة عنتره لابد لنا من بيان مكانة الأم عند الفرد العربي عامة " فالأصل في العصبية القبلية عند العرب الأبوة أو الانتساب الى الأب مثل سائر الأمم الراقية، على أن الأمومة كان لها شأن كبير عندهم وكثيراً ما كانت المزوجة والمصاهرة سبباً كبيراً للعصبية. ليس ذلك لعلو منزلة المرأة على الإجمال وإنما الفضل فيه للأمومة فان المرأة كانت لا تزال محتقرة حتى تصير أمّاً فتعلو منزلتها وقتئذ وتشتد عرى الاتحاد بها" (١٨) وعنتره بن شداد يقول في فخره بأمه:

يقدمه فتى من خير عبس أبوه وأمه من آل حام (١٩)

فعند الفخر بابيه فهو يذكر أمه مع عبوديتها وسوادها ونقلها السواد إليه، لكنه مع ذلك يفخر بها ولا يدع لنسبه من أمه ثغرة قد يستغلها البعض للتحقير منه فيقول:

ما ساعني لوني واسم زبيبة إذا قصرت عن همتي أعدائي (٢٠)

فكان عنتره يذكر سواده ومناداة الناس له باسم أمه على الدوام لكنه يقول عكس ما يحس فعند تكراره لهذا الأمر في كثير من قصائده نجد أن الفخر ليس الصورة الحقيقية في داخله والتي يريد أن يوصلها لمن يستمع لشعره، ولكن أبياته هذه تحمل عقد نفسية ناجمة من معاملة قومه له، واستغلال اعداءه لهذه المسألة واستعمالها في هجاءه ، لذلك فهو يدافع كثيراً عن نسبه ولونه ويقرنه بشجاعته وان من قلة العقل تعبيره بسواده وهو فارس عتيد مغوار لا تشكل المظاهر المادية فرقا عنده بالنظر لما يفعله حسامه الهندواني في الحروب فيقول :

وإن عابت سوادي فهو فخري لأنني فارس من نسل حام (٢١)

ونسلم حام هو ابن نوح عليه السلام الذي كان اسود اللون وأورث قسم من سكان الأرض هذه الصفة الجسدية وهي سواد اللون وضخامة البنية وتحمل المشاق وقبح الوجه وخشونة الشعر ويصف عنتره ذلك في أمه ، وقد يستهين بأمه وبشكلها الذي ورثه عنها ويصفها وصفاً دقيقاً ويقول :

وأنا ابن سوداء الجبين كأنها  
الساق منها مثل ساق نعامة  
والثغر من تحت اللثام كأنه  
ضبع ترعرع في رسوم المنزل  
والشعر منها مثل حب الفلفل  
برق تلالا في الظلام المسدل (٢٢)

وهذه صفات العبيد السود ومن المؤكد انها صفات شكل عنتره ايضا فلا ريب ان ذلك الشكل هو ما عقد الامور أكثر على عنتره في نيل مراده من الدنيا فكان سواده هو بلاءه المؤبد وان جاء عن طريق امه فمن ذلك نفهم علاقة عنتره بأمه فهو حانق عليها كاره لها وكاره لمجيئه لهذه الدنيا أسود.

٢- الآخر المرأة (الحبيبة) :

ونستطيع اعتبار الغزل من الطاقة الإيجابية التي يتسم بها الشاعر لأنها تجعله يرق في مشاعره وإنسانيته، ويتعد عن خشونة الحياة البدوية وقساوتها، فهو يذكر محبوبته أسماء في كثير من القصائد ويقول فيها :

ألا طرقت أسماء في غير مطرق  
بغر الثنايا خيف الغر نبتة  
وأبدى شهور الحج منها محاسنا  
وأنى إذا حلت بنجران نلتقي  
وسنة رثم بالجنية مونق  
ووجها متى يحلل له الطيب يشرق (٢٣)

رأى خفاف محبوبته اثناء موسم الحج وهو الموسم الذي يجتمع فيه كل الناس من مختلف البلدان للحج وللتسوق وكان من عادة نساء الجاهلية ان تحج البيت الحرام وتبدي محاسنها على عكس ما جاء به الاسلام من الحشمة والحجاب ومنع الطيب اثناء الحج فهو يتغزل بها وبحسنا فمن المعروف ان خفاف فارس يخوض المعارك ويسود قومه فان رق هكذا واحب فلا بد أن تأثير المرأة هذا غير فيه الكثير وعزز الايدابية في حياته ولم يكن خفاف منبوذا من قبل النساء لا بسبب سواده ولا بسبب فقره فلم يشك من نفور النساء عنه ولا اذاه بسبب ذلك ولكنه يصف اشتياقه للحبيبة في قصائده ويقول منها :

دار لأسماء إذ قلبي بها كلف  
ان الحبيب الذي امسيت اهجره  
أصد عنه ارتقابا إن ألم به  
وإذ اقرب منها غير مقترب  
عن غير مقلية مني ولا غضب  
ومن يخف قالة الواشين يرتقب (٢٤)

ويبدو ان خفاف اخذ بذكر النسب في بداية اغلب قصائده كباقي الشعراء العرب فيبدأ هذه القصيدة بذكر

سلمى وفراقها ويقول :

ولم تنجد لما يبغي قواما  
أشط نواهم إلا لماما (٢٥)

ألا صرمت من سلمى الزماما  
وفاجأني فراق الحي لما

وقوله أيضا في مقدمة قصيدة له :

منها مبين ومنها دارس بال  
أقوت منازلها من بعد أحوال  
فواصلن إذا واصلت أمثالي (٢٦)

ما هاجك اليوم من رسم وأطلال  
دار لقيلة إذ قلبي بها كلف  
إن تعرضي وتضني لا نوال لنا

فلم تكن المرأة في حياة الشاعر شيئاً لا أهمية له، فهو يشكو من فراقها ويشتاها وتأخذ من وقته ومن تفكيره ويتغنى بها في شعره ، ساعة بوصف شكلها ووجهها وساعة يتكلم عن طبعها وشخصيتها ويكون ذلك في قوله (لا تعاصيني) في البيتين :

وأصبح الرأي منها لا يواتيني  
أطيع رياً ورياً لا تعاصيني (٢٧)

فان يكن حبها أمسى لنا شجنا  
فقد غينا وشمل الدهر يجمعنا

كانت المرأة أيقونة للإنسانية في حياة الشاعر خفاف بن النذبة تغزل بها وذكر اسمها صريحاً وافتتح قصائده بذكرها وشوقه لها، فمن دور الآخر المرأة في حياة خفاف تتوضح لنا فكرة أن خفاف عاش حياة سوية خالية من عقد النقص والإهمال والحقد على المجتمع بسبب لونه الأسود أو كون أمه جارية سوداء فقد عاش حياة رغيدة والفضل يعود الى قبيلته التي احتوته وجعلته من أسياذ القبيلة.

٣- الآخر الصديق :

كان السليك يعيش بعيدا عن الناس لذلك لم يكن يصحب من الاصدقاء الكثير لكنه اذا اراد ان يغزو قوما ما صحب معه نفرا من الصعاليك كي يفيدهم من اموال الغنائم لفقروهم الشديد فلم يكن لصديق ما عليه فضل او موقف غير من حياته او حولها للأفضل ولكن كل من كان يصحبهم كانوا يطلبون العون من السليك وكان يعينهم ويساعدهم بما استطاع فمنهم من يذهب ليتجسس على قوم ما كي يغزوهم ولكنه لا يستطيع اكمال ذلك ويضعف ونادي صريخا بحاجة مساعدة فينجد السليك وذلك بقوله :

بكى صرد لما رأى الحي أعرضت  
 وخوفه ريب الزمان وفقره  
 فقلت له لا تبك عينك إنها  
 سيكفيك فقد الحي لحم مغرض  
 مهامة رمل دونهم وسهوب  
 بلاد عدو حاضر و جدوب  
 قضية ما يقضى لها فتوب  
 وماء قدور في الجفان مشوب<sup>(٢٨)</sup>

فهذه الابيات تتسم بالسهولة والوضوح والبساطة التي اتسم بها صاحب هذه الابيات فهو يصف صاحبه وصفا دقيقا من بداية بكاءه من خوفه من القوم ان يقتلوه وحتى ادركه السليك وسانده وطمأنه وطريقته في تهدئة صديقه كانت بتذكيره أنه سيغنم من القوم ويأكل الطعام المترف من اللحم المغلي في القدور ويكمل في قوله :

رددت عليه نفسه فكأنما  
 فما ذر قرن الشمس حتى أريته  
 وضاربت عنه القوم حتى كأنه  
 وقلت له خذ هجمة حميرية  
 تلاقى عليه منسر وسروب  
 قصار المنايا والفؤاد يذوب  
 يصعد في آثارهم ويصوب  
 وأهلا ولا يبعد عليك شروب<sup>(٢٩)</sup>

فيقول أن روح صاحبه أرادت ان تخرج من جسده شدة خوفه ان يقتلوه فرددت روحه اليه حين انقذته كانه فريسه وانقض عليه النسر فحميته منه ، وقاتل السليك عنه هؤلاء القوم وانقذه وغنم من القوم الكثير من الابل والاموال ووزعها بين اصحابه كعادته .

وكان أصحاب السليك من الفقراء والطبقة المعدمة ومن المؤكد انهم من الصعاليك لكنهم ممن لا يتمتعون بالشجاعة والجرأة كالسليك وحتى وان تركوه في احدى الغارات وحده ولم ينصروه فانه يبقى مصاحبا لهم ويعطيهم من الغنائم حتى وان لم يستحقوها لكنه بذلك يرضي نفسه بوجود بعض البشر من حوله حتى وان اتعبوه فكان ذلك يعود عليه بالرضى النسبي في داخله لان النفس البشرية في فطرتها تحتاج الرقعة والسليك لا يخفي ذلك فقتاله دون اصحابه وعدم خذلهم ولو خذلوه يبين حاجته الماسة للصحبة كي يعوض احساس النقص في داخله لاختلافه عن الناس. وايضا في وصفه لإحدى غاراته، مع أصحابه يقول:

يا صاحبي ألا لحي بالوادي  
أنتنظران قليلا ريث غفلتهم  
ألا عبيدا قياما بين أذواد  
أم تغدونان فان الريح للغادي<sup>(٣٠)</sup>

فهو يشجع أصحابه على الغزو والتجرؤ على ذلك فقد فاز بالذات من كان جسورا، وهو يدرس خطة الغزو من كل نواحيها فيقول ان المكان خال من الناس وكل اصحاب المكان غائبين سوى العبيد والخدم وهم ليسوا فرسانا كي يقاتلهم فهو اما يتريث قليلا وبطالع الامور من بعيد كي يغتتم الفرصة المناسبة للغزو واما يتجرا ويدخل على القوم لغزوم فجاه ففي كلا الحالتين هو منتصر. ويقول في صحبته:

وباتوا يظنون الظنون وصحبتني  
إذا ما علوا نشزا اهلوا وأوجفوا<sup>(٣١)</sup>

يصف أصحابه الذين باتوا منتظريه وقد تأخر عليهم في غزوة ما حيث طفقوا يبحثون عنه وطنوا انه قد قتل ويصف طريقة بحثهم عنه اذا انهم كلما اعتلوا مرتفع من الارض بحثوا فيما وراءه ورفعوا صوتهم ظننا منهم أن السليك موجود وسيسمعهم وحين يفشلون في ايجاده يصرخون ويمشون سريعا وهو ما يقصده بأوجفوا .

**المبحث الثاني: صورة الآخر الإيجابية للشعراء السود في العصر الإسلامي:**

أما صورة الآخر في العصر الاسلامي فإنها تختلف جذريا عما شهدناه في العصر الجاهلي إذ "يتداول الخطاب العربي والاسلامي موضوعة (الآخر) باعتبارها أحد مداخل السلام الاجتماعي ، ومن أهم اسباب التعايش الفكري ، بل باعتبارها من صلب الايمان بالحرية من حيث كونها جوهر الوجود الانساني، فهي قضية مصيرية تتماهى مع صيرورة الانسان"<sup>(٣٢)</sup>.

وكان الآخر في الدين الاسلامي يتحول الى اخر دولي اذ "عرف العرب الآخر من خلال الاحتكاك بالامم المجاورة عن طريق الحروب او التجارة او المعاهدات والمواثيق فكانت بعض القبائل العربية تقيم علاقات جوار مع الآخر الفارسي او البيزنطي او الحبشي"<sup>(٣٣)</sup>، ذلك لما للإسلام من تأثير كبير في المجتمع العربي بتغيير نظرته الى الآخر وتحويله الى آخر فكري و عقائدي "واعلن الاسلام مبدا الوحدة الانسانية بين الناس ودعا الى التوحيد والايمان بالله وحارب كل اشكال العصبية والطائفية فارسل الله عز وجل الرسول عليه السلام للناس كافة لعربيتهم واعجميتهم حرهم وعبيدهم واتصفت رسالة الاسلام بالعمومية

والشمول فقد دشّن القرآن الكريم مسألة الاعتراف بالآخرين دون اقصاء أي جماعة من الجماعات البشرية " (٣٤)، بعد ان كان العرب يانفون من الاسود الحبشي ويحتقروه" وما من شك في ان كانوا يانفون ان يحكمهم الاحباش ، ونحن نتبين ذلك في قول سيف بن ذي يزن لكسرى: "أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغرية ، فجنّتك لتتصرني عليهم وتخرجهم عني ويكون ملك بلادي لك فانت احب الينا منهم " فهو يعبر عنهم بالغبان ويؤثر ان يحكمهم الفرس على ان يحكمهم هؤلاء الغبان " (٣٥).

١- الآخر المرأة:

كان للمرأة دور كبير في تغيير مسار حياة سحيم وأول امرأة حددت مصيره وكانت سببا في مجيئه للحياة عبدا اسودا هي امه السوداء وكانت جاريه أصلها من الحبشة فيصف بلاء سواده بقوله:

فلو كنت وردا لونه لعشقتني      ولكن ربي شاتني بسواديا  
فما ضرني أن كانت أمي وليدة      تصر وتبيري باللقاح التواديا (٣٦)

فمن الطبيعي ان كانت امه هكذا بالابن سيكبر ويربى على نفس الوضع يصر ويبري ويخدم اسياده فكان سواده وعبوديته سببا رئيسا لسوء أخلاق سحيم وعبثه في الحياة.

والمرأة في حياة الشاعر سحيم كانت المحور الرئيسي الذي دارت حياته حوله فكان سحيم عبدا اسودا ماجنا يتلاعب بالأخلاق وليس لديه حرام او حلال ولم يمنع نفسه من ارتكاب المعاصي ولا من حب من يشاء وكان هناك نساء تنفر منه لسواده ولكن بالمقابل كان هناك نساء يعجبن بجسارته فيعجب بهن ويحاول التودد لهن ونظم قصائد للتغزل بهن وحتى ذكر اسمائهن في قصائده ولم يجعل للإسلام حرمة ولا لتعاليمه وما جاء به الرسول من غض الطرف والتأدب بأدب الإسلام فكان متمردا يعيش حياة الكفار في زمن الإسلام ، ويصف شغفه بحب العامرية في قوله :

فيا ليتني والعامرية نلتقي      نرود لأهلينا الرياض الخواليا (٣٧)

وذكر في ديوان سحيم أن هناك امرأة شغف بحبها وكان اسمها غالية ولكنها كانت من أشرف تميم وخاف أن يذكر اسمها في شعره فذكرها باسم عميرة في قصيدة سميت فيما بعد بالديباج الخسرواني:

عميرة ودع ان تجهزت غاديا      كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

جنونا بها فيما اعتشرنا علالة علاقة حب مستسر وباديا (٣٨)

فلم تخلو حياة سحيم من الآخر المرأة والذي تأثر بها أشد تأثير فهو إن أراد الذهاب الى الغزو يختم حياته بالوداع مع المرأة وخلال رحلته تكون المرأة في تفكيره على الدوام فيقول انني تزودت من حب عميرة ما يكفيني لأسافر وأفارقها وأرجع فلا أحس ببعد المسافة ولا بالغياب فقد زودتني هذه المرأة بود يبقى ، في قوله :

بأحسن منها يوم قالت أراحلً  
فان تثو لا تملل وان تضح غاديا  
ومن يك لا يبقى على النأي وده  
فقد زودت زادا عميرة باقيا (٣٩)

وكان نصيب سحيم من حب المرأة افضل واوفر من نصيب شعراء الجاهلية السود الذين كان سوادهم غير مرغوب به من النساء، فالأسود عبد بعيد عن مجتمع العرب وحتى الزواج منه يعد مشينا بل وحتى الاعجاب به لكننا نرى عكس ذلك مع الشعراء السود الاسلاميين ، ومن وصف الآخر المرأة في شعر سحيم في قوله :

أتكتم حبيتم على الناي تكتما  
وما تكتمين أن تكوني دنيئة  
تحية من أمسى بحبك مغرما  
ولا أن تكوني يا ابنة الخير محرما (٤٠)

ولم تسلم امرأة من غزل سحيم ومن لسانه فعوقب كثيرا وجلد وهددوه كثيرا لكنه لم يرعو وقال يتغزل باخت مولاه والتي اتهم بها :

ماذا يريد السقام من قمرٍ  
ما يبتغي جار في محاسنها  
غير من لونها وصغرها  
لو كان يبغي الفداء قلت له  
كلُّ جمال لوجهه تبعُ  
أما له في القباح متسعُ  
فزيد فيه الجمال والبدعُ  
ها أنا دون الحبيب يا وجعُ (٤١)

يتغزل سحيم بوجه أخت سيده المريضة ويحول معالم مرضها الى جمال وبدع ولعله يعجب بوجه النساء الجميلات بسبب وجهه الاسود القبيح فيتغزل كثيرا بالجمال والبياض وصفات الحسن المعروفة ، ويمتلك

سحيم من الرقة والعذوية في التعامل مع المرأة الكثير ليميل قلوب النساء إليه .  
وهذه كانت صورة الآخر غير الإيجابية المتمثلة في المرأة في شعر سحيم عبد بني الحساس الشاعر  
العبد الاسود والتي بينت عن اهمية دور المرأة في حياته وبيان ناحية الرقة والشاعرية في شخصية سحيم  
العبد والتي أعجبت بها أغلب النساء اللواتي تغزل بهن .  
٢- الآخر القبيلة:

في دراسة صورة الآخر في شعر عبدة المتمثلة بقومه واهله واسرته يتبين لنا كيفية معاشته مع الآخرين  
وتفاعله معهم وقابلية الأخذ والعطاء التي تبين انصهار ذلك الشاعر الاسود في مجتمعه وعده واحدا منهم  
لا يختلف كثيرا عنهم وهو بالتالي لم يحبس نفسه في سجن سواده واصله الحبشي فكون علاقات مختلفة  
مع الآخرين وكرس حياته لهم إذ إنه ومن الناحية السيكولوجية "ليس في استطاعة الانسان أن يحبس نفسه  
في قمقم، فان قطب الانا لا يستطيع أن يعيش إلا في علاقته بقطب الغير حقا ان المرء يولد بمفرده  
ويموت بمفرده ولكنه لا يحيا الا مع الآخرين وبالآخرين وللآخرين" (٤٢)، فالشاعر عبدة بن الطبيب شاعر  
من بني تميم " كان ذا شان وخطر في الجيش المقاتل وكان مكينا لدى القادة في القادسية وكانوا يعدونه  
من اهل الراي والفضل وبعد هذه المعركة عاد عبدة بن الطبيب الى قومه في البادية وقد عرف عنه  
الفضل والنجدة والمروءة والشرف وكل ذلك من أثر الدين ومن حسن إسلامه" (٤٣) وكانت حكمته  
ونصيحته طاغية على علاقته باهله واصحابه فهو يوثق ذلك النصح في قصائده لبنيه وقومه كيما يفيدوا  
منها في حياتهم فصورة الآخر عنده تتمثل في تحمله مسؤولية بناء جيل يسير على تعاليم الإسلام  
والاخلاق الحميدة فيكتف نصحه لذلك الآخر الايجابي في حياته ويقول : من الكامل

أُبنيَّ إني قد كبرت ورايني      بصري وفي لمصلح مستمتع  
فلئن هلكت لقد بنيت مساعيا      تبقى لكم منها مآثر أربع (٤٤)

فهو يفكر في أبنائه وقومه حتى بعد موته ويضع بين ايديهم تجاربه وما قاسته ذاته المتألمة طوال حياته  
لتكون دستوراً يسير عليه ذلك الآخر الايجابي ويقول واصفا تلك المآثر الأربع :

ذكر إذا ذكر الكرام يزينكم      ووراثة الحسب المقدم تنفع

ومقام أيام لهن فضيلة  
 ولهي من الكسب الذي يغنيكم  
 ونصيحة في الصدر صادرة لكم  
 أوصيكم بتقى الإله فإنه  
 وببر والدكم وطاعة أمره  
 إن الكبير إذا عصاه أهله  
 ودعوا الضغينة لا تكن من شانكم  
 واعصوا الذي يزجي النائم بينكم  
 يزجي عقاربه ليعث بينكم  
 لا تأمنوا قوما يشب صبيهم  
 فضلت عداوتهم على احلامهم

عند الحفيظة والمجامع تجمع  
 يوما إذا اختصر النفوس المطمع  
 ما دمت أبصر في الرجال وأسمع  
 يعطي الرغائب من يشاء ويمنع  
 إن الأبر من البنين الأطوع  
 ضاقت يداه بأمره ما يصنع  
 إن الضغائن للقرابة توضع  
 متنصحا ذاك السمام المنقع  
 حربا كما بعث العروق الأخدع  
 بين القوابل بالعداوة ينشع  
 وابت ضباب صدورهم لا تنزع<sup>(٤٥)</sup>

فكانت هذه القصيدة من النماذج الواضحة والبيئة في تمثيل علاقة عبدة بالآخر كونها علاقة ابوية سامية تتسم بالحكمة والنصح والارشاد وكان اول درس علمه لبنيه هو ان يتركوا اثرا طيبا بالآخرين حولهم وانشاء أسرة مستقيمة ذات ادب وحسب والابتعاد عن المكسب الحرام والاساليب الملتوية والطمع وهذا كله يتكمله تقوى الإله الواحد فلايمان عبدة بان الله تعالى يعطي من يشاء ويمنع عن يشاء ذكر ذلك ضمن قائمة نصائحه لبنيه وقومه وبر الوالين وطاعة الامر كلها كانت من تعاليم الاسلام التي جاء بها ليسقيم بها المجتمع الإسلامي .

#### الخاتمة:

– كانت صورة الآخر المتمثلة بالمرأة في أوجها وذات تأثير واضح في حياة الشعراء الجاهليين كعنتره والسليك بن السليكة ، فتأثر عنتره في حبه تأثرا كبيرا مما أدى لتغيير حياته كلها نحو الباس والشدة ليثبت لذلك الآخر كم هو قوي وثابت العزيمة وان رفضه لم يكن سوى خطأ فادح قام به الآخر وهو الحبيبة كذلك بالنسبة للسليكة إذ إنه كان يحاول جاهدا ان يكون الرجل الفحل صاحب الجرأة والشجاعة وان تعجب

به النساء لجراته وليس لشكله الاسود القبيح . اما صورة الآخر المرأة عند الشعراء الاسلاميين فلم تكن واضحة ولا ذات حضور قوي في شعرهم وحياتهم فيما عدا الشاعر سحيم الذي لم يكن معترفا بوجود الاسلام وظل على مجونه وفساده حتى بعد مجيء الإسلام فكان للمرأة التأثير القوي على حياته اذ انه كان يصاحب النساء ويفضل مجالستهن ولاسيما نساء قومه وهذا مما أدى به الى القتل حرقا .

- لم أجد للشعراء السود آخر صديقا يصحبهم في مراحل حياتهم إلا القليل ممن صحبهم في غاراتهم وحروبهم على القبائل الأخرى للغزو والغنائم فان الابيض لا يصادق الاسود ، اما الاسود العادي فقد كان عبدا خادما يخدم مولاه ولا يتفرغ لحياة الصداقة والصحبة فمن كان منهم صلوكا خارجا على قبيلته كالسليك لم يكن له اصحاب سوى الفقراء والضعفاء منهم كانوا يصحبونه لفائدتهم من غنائمه في الغزوات ، واما من كان عبدا خادما كعنترة فلم يكن له صحبة تذكر وكذلك خفاف بن النديبة لم تكن له صحبة تذكر لكنه كان يحب أبناء قومه كثيرا ويرثيهم ويندبهم لأنه برز من بين باقي الاغربة كانسان سوي خال من العقد النقص الذي تسبب فيها سوادهم ذلك ان قبيلته اعترفت به وجعلته سواسية مع باقي افراد قبيلته حتى إنه كان يسود البعض منهم ويأمرهم.

- وفيما يخص العصر الإسلامي فكان الامر مختلف بالنسبة للشعراء السود والفضل بذلك كله يعود الى النبي محمد (ص) الذي أرسى قواعد الاسلام وسن تشريعاته في خدمة جميع الطبقات الاجتماعية. وبذلك تحولت جميع الافكار العربية وتوجهت نحو المختلف بالدين والخلق وليس المختلف باللون. وبذلك صقلت روح المسلمين واتسمت بالسمو والرفعة عن ألوان العنصرية الجاهلية وأثر ذلك واضحا في أفكار ومشاعر عبدة المتزنة الخالية من عقد النقص والخذلان والمهانة التي قاساها الشعراء السود قبله.

- وعند دراسة التأثيرات الايجابية والسلبية للمجتمع ككل في حياة الشعراء السود بعد مجيء الاسلام وبعد استقراء شعرهم نجدهم مستقرين عاطفيا ومبتعدين عن العنصرية حتى وإن كانت هذه العنصرية موجودة لكنها خامدة تحت خبايا النفس العربية.

الهوامش:

- ١ - صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الاموي حتى نهاية العصر العباسي ، ٢٦ .
- ٢ - الحجرات / ١٣
- ٣ - الروم / ٢٢
- ٤ - هود / ١١٨
- ٥ - ص / ٥٨
- ٦ - البقرة / ١٨٤
- ٧ - العين ، الفراهيدي ، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٣ ، ٦٠/١
- ٨ - لسان العرب ، ابن منظور ، ٤ / ١٢ ، مادة اخر .
- ٩ - تاج العروس من جواهر القاموس ، السيد مرتضى الحسنى الزبيدي ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، سلسلة التراث العربي ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٥م ، ٣١/١٠
- ١٠ - مختار الصحاح ، للشيخ الرازي ، دار المعاجم في مكتبة لبنان ، ١٩٨٦م ، ٤ ، مادة اخدود .
- ١١ - المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤ ، ٢٠٠٤ ، ٨ ، مادة اخر .
- ١٢ - ديوان امرؤ القيس ، ٢٢
- ١٣ - المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية ، عبد المنعم الجفني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة - مصر ، ط٣ ، ٢٠٠٠ ، ٢٩
- ١٤ - المصطلحات الادبيه الحديثه دراسة ومعجم انجليزي - عربي ، د محمد عناني ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، دار نوبار للطباعة ، ط٣ ، ٢٠٠٣ ، ٦٨
- ١٥ - السياسة ، ارسطو طاليس ، ترجمة احمد لطفي السيد مختارات الاذاعة والتلفزيون ، ٩٤
- ١٦ - سرد الآخر ( الأنا والآخر عبر اللغة السردية ) ، صلاح صالح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ١٠ .
- ١٧ - فلسفة المرأة ، د. محمود رجب ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ٢٠٣ .
- ١٨ - عشائر الشام ، احمد وصفي زكريا ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ط٢ ١٩٨٣ ص ١٣٧
- ١٩ - ديوان عنتره ، ٢٤٥
- ٢٠ - م.ن ، ٢٢
- ٢١ - ديوان عنتره ، ١٨٨

- ٢٢ - م.ن ، ١٣٥
- ٢٣ - ديوان خفاف بن النديبة ، ٢٧ .
- ٢٤ - م.ن ، ١٢٥
- ٢٥ - م.ن ، ١٣٣
- ٢٦ - ديوان خفاف بن النديبة السلمي ، ٨٨
- ٢٧ - م.ن، ١١٨
- ٢٨ - ديوان السليك بن السلكة ، ٥٥
- ٢٩ - م.ن .
- ٣٠ - ديوان السليك بن السلكة ، ٦٨
- ٣١ - ديوان الشنفرى ويلييه ديوانا السليك وعمرو بن براق ، اعداد وتقديم طلال حرب دار صادر بيروت\_ لبنان ط ١٩٩٦ ، ٩٤
- ٣٢ - الآخر في القران ، غالب حسن الشابندر ، مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد - العراق ٢٠٠٥ ، ٤٧
- ٣٣ - صورة الاخر في الشعر العربي من العصر الاموي حتى نهايو العصر العباسي ، ١٤ .
- ٣٤ - م . ن ، ٣٤
- ٣٥ - الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، ٦٥
- ٣٦ - ديوان سحيم عبد بني الحساس ، ٢٦
- ٣٧ - م.ن ، ٢١
- ٣٨ - ديوان سحيم عبد بني الحساس ، ١٦
- ٣٩ - م.ن ، ١٨
- ٤٠ - م.ن ، ٣٤
- ٤١ - ديوان سحيم عبد بني الحساس ، ٥٤
- ٤٢ - مشكلة الانسان ، ١٥٣
- ٤٣ - ديوان عبدة بن الطبيب ص ٨
- ٤٤ - م.ن ، ٤٣
- ٤٥ - ديوان عبدة بن الطبيب ، ٤٤ - ٤٧

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- . الآخر في القرآن ، غالب حسن الشابندر ، مركز دراسات فلسفة الدين في بغداد - العراق ٢٠٠٥
- . تاج العروس من جواهر القاموس، السيد مرتضى الحسنى الزبيدي ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، سلسلة التراث العربي ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٥م، ٣١/١٠
- . الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، احمد محمد الحوفي مطبعة نهضة مصر القاهرة - مصر ط٢ ، ١٩٥٢ م
- . ديوان خفاف بن النذبة ، د نوري القيسي ، ١٩٦٨ ،
- . ديوان سحيم عبد بني الحساس ، تحقيق عبد الغني الميمني مطبعة ادوان سليك بن السلكة ، سعدي الضيناوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ط١ ١٩٩٤
- . ديوان الشنفرى ويلييه ديوان السليك بن السلكه طلال حرب دار صادر بيروت - لبنان ط١ ١٩٩٦
- . ديوان عبدة بن الطبيب د يحيى الجبوري ، دار التربية للنشر والتوزيع جامعة بغداد ١٩٧٢
- . ديوان عنتره ، محمد سعيد مولوي ،المكتب الاسلامي ،القاهره -مصر ، ١٩٦٤م
- . ديوان النجاشي الحارثي ، صنعة وتحقيق صالح البكار ، الطيب العشاش ، سعد غراب ، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر بيروت \_ لبنان ، ط١ ١٩٩٩م
- . سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، صلاح صالح ، المركز الثقافي العربي ، بيروت -، ط١ ، ٢٠٠٣م
- . السياسة ،ارسطو طاليس ، ترجمة احمد لطفي السيد مختارات الاذاعة والتلفزيون
- . صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الاموي حتى نهاية العصر العباسي
- . العين ، الفراهيدي ، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٣ ، ٦٠/١
- . عشائر الشام ، احمد وصفي زكريا ، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ط٢ ١٩٨٣
- . فلسفة المرأة ، د. محمود رجب ، دار المعارف ،القاهرة - مصر، ط١ ، ١٩٩٤
- . مختار الصحاح ، للشيخ الرازي ، دار المعاجم في مكتبة لبنان ، ١٩٨٦م
- . المصطلحات الادبيه الحديثة دراسة ومعجم انجليزي - عربي ، د محمد عناني ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، دار نوبار للطباعة ، ط٣ ، ٢٠٠٣
- . المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية ، عبد المنعم الجفني ، مكتبة مدبولي ، القاهرة - مصر ، ط٣ ، ٢٠٠٠
- . المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤ ، ٢٠٠٤

. لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر بيروت - لبنان.